الأَديبْ و المُفكِّرْ الرَّاحِل
رَمَضان عَبْدِ الرَّحْمن لاَوَنْد
نظرات موجزة في الإعلام القرآني

نظرات موجزة في الإعلام القرآني

.....

لعلّ القرآن الكريم هو الكتاب السماوي الوحيد، في حدود ما نعلم، الذي ورد في أكثر من آية من آياته، تحد صارخ للناس أن يأتوا بسورة واحدة أو بعشر سور من مثل سوره.

والغاية من هذا التحدي إثبات أنّ الأسلوب والمضمون في هذا الكتاب السماوي يتميزان بصفة الإعجاز الذي يجاوز إمكانيات البشر في الأداء والتعبير الدقيقين والهادفين إلى التعامل مع الإنسان والتأثير في شخصيته وبالتالي العمل على تشكيله تشكيلاً يتجاوب مع النموذج الحقيقي للإنسان المسلم.

وهذا يعني بالطبع أنّ المعجزة الكبرى التي رافقت دعوة الإسلام هي معجزة إعلامية كما يقال اليوم.

يبقى أن نتساءل لماذا جاء الإعجاز في عصر محمد صلى الله عليه وسلم على صورة إعلامية وحسب تتوجه إلى فكر الإنسان وعواطفه وفطرته التي فطر عليها وإرادته وبالتالي إحساسه بالمسؤولية في الوقت الذي جاءت فيه رسالات السماء السابقة بمعجزات مادية بحتة ينتهي تأثيرها بمرور الوقت الذي ظهرت فيه بحيث يصبح الحديث عنها خبراً من أخبار الماضي.

والجواب عن مثل هذا التساؤل أنّ الرسالات السماوية السابقة جاءت في الواقع لقبيل معين من الناس ولفترة محددة كما لو أنها مقدمات يقصد بها أعداد البشرية لاستقبال الرسالة الدائمة أو الباقية لا لشعب معين بل للعالمين من ناحية كما يقصد بها مخاطبة الملكات الإنسانية التي ترافق كل جيل في كل عصر..

والثابت أنّ الإعلام القرآني ينقسم إلى قسمين: قسم يتصل بفن التفكير أو بمنهج التفكير الذي يستوعب به السامع رؤية معرفية يطلق عليها اليوم اسم "علم المعرفة". وهو قسم لا يتصل بالإعلام في مفهومه الحديث إلا كما تتصل المقدمات التي تقدم بها الكتب المؤلفة والتي تتعين بها طريقة مناقشة الموضوعات المطروحة في هذه الكتب المؤلفة. ولما كانت هذه المقدسات منفصلة عن موضوع الإعلام بالمعنى الدقيق للكلمة فقد وجبت مناقشتها وتقديمها منفصلة عن المادة الإعلامية المباشرة.

تم تحميل هذا الملف من مكتبة الأديب الراحل رمضان عبدالرحمن لاوند (سيّد المنابر) www.RamadanLawand.com
مع الاحتفاظ بكامل حقوق الطبع و الملكية الفكرية ،لمزيد من المعلومات يرجى مراسلتنا :info@RamadanLawand.com

أما القسم الثاني من المنهج القرآني فهو القسم التطبيقي الذي برز به فن التعامل مع الإنسان لإعداده إعداداً عملياً بحيث يصبح نموذجاً واقعياً حياً للسلوك الإسلامي.

****

القسم التطبيقي للإعلام القرآني:

يستطيع المتدبر لكتاب الله أن يعيّن الأساليب التي استخدمها الوحي السماوي في مخاطبة البشر.. وليس المقصود بالتعيين هنا هو الحصر الكامل والدقيق لهذه الأساليب بل هو تعيين مقارب من الممكن بمرور الزمن وفي ضوء الكشوف العلمية أن تظهر أساليب أخرى للمتدبر لكتاب الله.

وعلى ذلك فقد استطعنا أن نحصر من هذه الأساليب أو الصور الإعلامية ما يلي:

1) تقديم صورة للنموذج البشري الكامل في حدود الإمكان في شخص آدم عليه السلام: امتيازه وسلوكه، نقاط الضعف والقوة فيه، طبيعة تصرفاته.

هذا النموذج قدم إلى الناس على أنه خليفة في الأرض يتمتع بما لا تتمتع به المخلوقات الأخرى بما فيها الملائكة وفي الآية 30 وما بعدها من سورة البقرة تصوير لأبعاد وامتيازات هذا الخليفة الذي أطلق عليه كتاب الله اسم آدم عليه السلام.

كما كشف القرآن الكريم عن تعرض هذا النموذج للضعف ونسيان ما يتلقى من أوامر الله سبحانه كما في قوله تبارك وتعالى: "وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا".. فهو رغم تميزه من سائر الخلق موضع للضعف أمام المغريات كما محل للنسيان ثم يذكر القرآن أنّ هذا النموذج الإنساني الكريم يتعرض لوسوسات الشيطان الذي قضى الله عز وجل أن يكون للإنسان فتنة تدفعه إلى البحث عن الخلود والقوة وإلى الرغبة في التحول إلى ملك من الملائكة وهي المخلوقات التي جنبتها الإرادة الإلهية فتنة الشهوات وحررتها من ضغوط الوساوس وقد وصفت في كتاب الله بأنها "لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ"..

فهي مخلوقات تتصف بالطمأنينة وحرية العبادة بعيداً عن أي ضغط أو وسوسات شيطانية.

والمقصود بتصوير هذا النموذج إفهام الناس أنه ضعيف بطبيعته ولكنه قوي في الوقت نفسه بفضل إرادة التوبة التي تفتح له باب الهداية واسعاً أمامه، كما في قوله تعالى: "قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ"، مقارنة بين النموذج الإسلامي المتمثل في آدم عليه السلام والنماذج البشرية الأخرى التي ظهرت في بعض الثقافيات والعقائد غير الإسلامية. والمقصود بهذه المقارنة تصوير الفارق الكبير بين المرونة واحتمالات الكمال عند الإنسان المسلم من ناحية وبين النموذج الذي

أفرزته ثقافة كالثقافة اليونانية فجعلت منه مادة لعبث الآلهة وموضعاً للصراع المستمر بينه وبين الآلهة كما جعلت العلاقة بين الآلهة نفسها علاقة صراع تستخدم فيه حيل الإنسان وتبرز فيه ظاهرة التحيز والحقد وأنواع الكراهية والعبثية.

وليس هذا وحسب فالآلهة نفسها عند اليونان خاضعة لقدر رهيب عابث لا عقلي.. إلخ..

وفي وسعنا أن نجد هذه المفارقات في النموذج الروماني وكذلك النموذج الحديث لإنسان هذا العصر الذي يستقل الإعلام الأجنبي في تكوينه والذي يصدر عن التعصب القومي والاستعانة بأساليب غير أخلاقية وتنمية الأحقاد الطبقية وغير ذلك مما تحفل به السياسات الإعلامية المعاصرة.

3) وفي ضوء النموذج البشري الذي تحدد في شخص آدم عليه السلام يمكن أن نستعرض السياسة الإعلامية التي اتخذها الأنبياء والرسل عليهم السلام قبل محمد صلى الله عليه وسلم. وقد تباينت هذه السياسة تبعاً للمراحل التاريخية فكان منها التخويف الذي ينتهي إلى تدمير المشركين والمخالفين. وكان منها إثارة الإعجاب حتى الانبهار كما في عصر إبراهيم عليه السلام. وكان منها مزيج من الترغيب والترهيب. الترغيب في إنقاذ بني اسرائيل من فرعون والترهيب في إغراق فرعون وجنوده، بالإضافة إلى المعجزات المادية التي وقعت على أيدي عدد من الأنبياء والرسل من أمثال: موسى وعيسى وسليمان عليهم السلام. فكانت جملة هذه السياسات الإعلامية بمثابة صدمات تمهيدية تعد البشرية وتثقفها لاستقبال الدعوة الإسلامية.

4) والملاحظ أنّ القرآن قد طرح حقيقة إعلامية أساسية حين علمنا بأسلوبه القصصي المتميز كيف ينجح الاتصال بالآخرين فيقرر أنّ وجود خلفية ثقافية مشتركة بين المرسِل والمرسَل إليه شرط ضروري للتفاهم والتأثير المتبادل، أي أنّ الحوار الناجح بين فريقين من الناس يجب أن يستند إلى قيم مشتركة ومقاييس مشتركة لتصبح لغة الحوار ومادته مقبولتين عند الفريقين المتحاورين وقد ظهرت هذه المفارقة في قصتين:

-قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح الذي خرق المركب وقتل صبياً وأقام جداراً دون أن يدرك موسى الغرض من هذه التصرفات لتباين الخلفية الثقافية بين موسى من ناحية وبين العبد الصالح من ناحية.

-قصة موسى عليه السلام مع سحرة فرعون الذين لم تمر عليهم ثوان وهم يشهدون معجزة العصا حتى دخلوا في دين موسى عليه السلام والسبب هو الخلفية الثقافية المشتركة القائمة بين الفريقين.

فإذا أدركنا هذه المقدمات استطعنا من ثم أن نستوعب السياسة الإعلامية التي يمكن استخراجها من كتاب الله.